

## ناصر قنديل

في حديث الجمعة هذا الأسبوع، قراءة استراتيجية وتكتيكية في حرب غزّة بعنوان المختصر المفيد، واسترجاع في ذُكر إن تنفَع الذكرى لما كتبت يوم حرب غزّة الأخيرة لحماس ومخاطر استدراجها نحو الأردن أو تخفيض سقف الشروط، أما في رياضيات الكلام فمعادلات العقل والقلب والضمير، وقالت له عن الحبر والحب والملح والرمل، ليكون صباح المقاومين في غزّة العزّة، وتكون التحية من هذه الصفحة هذا الجمعة إلى مبدع نادر في التاريخ المعاصر، هو الراحل الكبير الإمام الخميني، مفجر ثورة الشعب الإيراني وقائدُها، الذي حَرَس الجمعة الأخير من كل رمضان لتكون يوماً عالمياً للقدس، واليوم سيكون يوم فلسطين وغزّة بامتياز في مئات المدن وعشرات العواصم، وسيطل سيد المقاومة لوضع نقاطه على حروف الحرب، وستكون للمقاومين طريقتهم في الإحياء.

### مختصر مفيد

مع سورية والمقاومة. أما على المستوى التكتيكي فظهر ما أعَدته المقاومة من حرب الأنفاق التي أسماها «الإسرائيليون» بالقبّة الفولاذية تحت الأرض، وما رافق إتقان استخدام الأنفاق لإغفاء منصات الصواريخ وإطلاقها، أو بمفاجأة جيش الاحتلال ونخبه المقاتلة، والنجاحات الباهرة التي سجّلها المقاومون، والتي تتمّ عن مخيلة وإبداع وشجاعة وبسالة وجديّة وحسن استثمار لعامل الزمن مقابل الرتبة والترهل والتقليد والبلادة، لتصير الحصيلة عدم التكامُف في الأهلية للحرب بين جيشين لا تتناسب طاقتهما النارية إلا عكسًا مع كفاءةاتهما التكتيكية والقتالية.

◆ البعد الثالث الجديد الذي كشفته الحرب، يتمثل بسوء التقدير لما يسميه «الإسرائيليون» دائماً استراتيجية الخروج من الحرب، المقصود هنا العبارة الرئيسية التي سجلتها التقارير والتحقيقات التي أعقبت الغشل في حرب تموز عام 2006، أي وضع الخطط لا الأوهام كيفية وقف الحرب بلا خسائر جسيمة ما لم تصخّ التوقعات. وفي حال ظهور مفاجآت استراتيجية أو تكتيكية أو الائتئين، وعلى هذا الصعيد بات واضحاً أن استراتيجية الخروج «الإسرائيلية» بنيت كلها على ما يستطيعه الأميركي عبر المسار التركي القطري، بمنحه جزءاً من الدور في إنهاء الحرب وتعويمه سياسياً، مقابل مقرّدهته على الضغط عبر علاقاته الخاصة بالتنظيم العالمي للأخوان المسلمين ومشروعهم، واستطراداً بالقيادة السياسية لحركة حماس، التي لا تنفك تبدي اهتمامها بهذا التعويم، لتكرار ما فعلته عام 2012 من تهمير لنصر المقاومين بقبول اتفاق هزيل لحساب منح الحلف الأخواني مكانة في اللعبة الإقليمية. لكن كما يظهر الآن من تعقيد مهمة الأميركي، أن الرهان مبالغ فيه ومحاف للواقع الذي اتجته المتغيرات السورية المصرية، خصوصاً ما ترتب على هزيمة مشروع الإخوان من جهة، وانعكاس ذلك على إصرار قيادة المقاومة في الداخل بما فيها القسام، من جهة أخرى، على رفض كل محاولة لتجبير التضحيات والانصراف لأي فريق إقليمي إلا بغياص إسفهامه بتحقيق شروط المقاومة، وفي مقدّمها فكّ الحصار بصورة شاملة ومترامنة مع وقف النار.ومن زاوية ثانية ما ترتب على رفض حركة حماس ومعها القسام وسائر فصائل المقاومة للمبادرة المصرية من تضحيات جسام، وما يفرّضه ذلك من استحالة القبول بما يشبه تلك المبادرة بعد هذا الحجم من التضحيات المضافة، التي تستدعي تبريراً بحججها في أيّ وقف للنار، بمكاسب تعادلها تصاف لوقف النار، الذي سقط كمطلب بذاته وصارت التضحيات مربوطة مباشرة بفكّ الحصار، لتصير استراتيجية الخروج «الإسرائيلية» مصابة بالخل المهفجي، ويصير لمن وقف النار مكلفاً عليها، وربما فوق طاقة أيّ حكومة «إسرائيلية»، فتذهب الحرب إلى حيث لا يملك «الإسرائيليون» خطة، وربما إلى حيث التوزّط فيها قابل للتوسع إقليمياً من حيث تحسب «إسرائيل» ومن حيث لا تحسب.

◆ الحرب على غزّة صارت الحدث الإقليمي والدولي الأول، وبعد دخول اليوم العشرين من الحرب صار ممكناً القول إنّ التوقعات السياسية «الإسرائيلية» أو ما تسميه الجيوش بتقدير الموقف الاستراتيجي جاء مخالفاً للواقع، خصوصاً باتجاه مسألتين؛ الأولى هي القدرة على ربط الحرب «الإسرائيلية» على غزّة بالحرب على «داعش»، وما تعنيه من الحرب على الإرهاب، وجاء الغشل الأبرز هنا في ردّ الفعل الذي اجتاح الشارع العالمي تضامناً مع غزّة، وإصراراً على تصنيف الحرب عليها كحرب عدوانية على الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، كما جاء الردّ أيضاً بالغشل «الإسرائيلي» في استدراج مصر إلى أبعد من التقدّم بمبادرة تهدئة، بينما الرهان «الإسرائيلي» مؤسس على فرصة ذهبية لتحويل الحرب على غزّة إلى حرب مشتركة، عنوانها «الإسرائيلي» التخلص من المقاومة وعنوانها المصري التخلص من قاعدة مسلحة للأخوان المسلمين على الحدود. أما المسألة الثانية فهي العجز عن فهم ماهية العلاقة بين حماس وحلف المقاومة، وهي علاقة مأزومة على المستوى السياسي، في ضوء تداعيات اصطفاغ حماس في الحرب على سورية، وتخليبها هويتها الأخوانية في اختيار خندقها على حساب هويتها المقاومة، لكن هذا لم يؤثّر على احتضان حلف المقاومة بقدراته وخبراته لكاتب عز الدين القسام الجناح المقاوم لحماس، وسائر القوى المقاومة، كما أوضح مخزون المقاومة الصاروخي، الذين كان الحساب «الإسرائيلي» لنفاذه أحد عناصر الدفاعها في الحرب، والخلاف لم يؤثّر أيضاً على تمسك حلف المقاومة بفلسطين بوصلة وفضية مركزية كما أوصحت الكلمات الهامة التي وردت في خطاب القنم الذي أدلى به الرئيس السوري الذي يمثل الجهة الأكثر تألماً وتضرراً في الحلف من تموضع حماس، بينما الحساب «الإسرائيلي» كان أن حرباً على حماس ستشهد تصيد سورية على الأقل من حساب فلسطين.

◆ بالتزامن والتناسب مع الخلل في تقدير الموقف الاستراتيجي، اتضح ان «إسرائيل» بجيشها وعظمتها وعنادها تكثُر حرب 2012، بينما المقاومة تحوض حربها الجديدة، فعلى المستوى التكتيكي لم يظهر أن لدى «الإسرائيلي» ما يتعدّى الخطط التقليدية التي اعتمدها، وربما برتابة أكثر من السابق، سواء بالرهان على القصف التدميري جوّاً وبراً وبحراً، والضغط بأرواح المدنيين، أو بالاستناد إلى اللوية النضبة لتنفيذ هجمات برية للتقرّب من مناطق النقل السكاني في غزّة، بينما القبة الحديدية التي مضى على تباها «إسرائيل» بفعاليتها ثمان سنوات من الإنفاق والإعداد، لتظهر كهمزلة تثير السخرية في هذه الحرب، لا تتخطى قدراتها على الحماية نسبة 20 في المئة في أحسن الأحوال، وهذه نسبة لا تبنى عليها خطة الحرب. والمضحك أن هذه القبة أعَدت أميركيا وأجريت لها المناورات المشتركة مع «إسرائيل» لتكون بمستوى حرب مع إيران، إذ يتوقع حينها أن تكون حمية الصواريخ المتساقطة على كيان الاحتلال ومنشأته من كل الجهات قرابة الخمسة آلاف صاروخ يومياً، مقارنة بمئة يومياً من غزّة وحدها، وألف صاروخ لو كانت الحرب مع المقاومة اللبنانية، وثلاثة آلاف لو كانت الحرب

# البناء

## حديث الجمعة



### صبايات

صباح الخير يا غزّة

صباح الخير للعزّة

صباح الخير للشهداء

للأطفال والشيوخ والنساء

لحفل حرب يقيمه العالم وقد صار حفل شواء

من لحمنا ومن ترابنا ومن أحرر الدماء

من يشترّ الرائحة لحمه ودمه تحت النار

ولا يشتعل في شرايينه الإعصار

هو ابن رزني ولو كان صاحب نظرية النعاج

أو كان وزيراً بهتّر كلما تكلم كالثافت الرجراج

فما نفع الأذعاء بالعروبة

وما نفع الالتزام بالخطوبة

إن كانت النهائية للنفاق

أو جاءت النهاية افتراءً أو طلاق

بصير كل الالتزام كلاماً بكلام

ومناورات أمام الناس والإعلام

تصير قضية المنافق

يذرف الدموع كالعاشق

أنه يُدعي ما ليس فيه كجيش من الجبناء

لا يبريد حرباً في الصيف ولا في الشتاء

رجولة لم تثمر ولم تعقد زهر الربيع فصارت هباء

همّة أن يكون في عيون الناس زبر نساء

لا أن يكون فارساً أو رجلاً أو أن يسمع صرخة الأه

يترك الأرض وما فيها كي لا يقيم للواجب حساباً

والتباه

فكيف إن كان النداء وامعتصاه

من يصدح الجند والمال والسلاح لقتال شقيق

بدعوى خلاف

وهو يكذب إن قال لأجل ديمقراطية أو لأجل من

سمها ثورة شعب وأنشأ لها الائتلاف

وهو عن كليهما بعيد بعد الكافر عن الله

فيجند الفتاوى والفضاء والمال والسلاح

والمخابرات بدعوى التحزّر وهو يكبت الحريات

ويكتم الأفواه

ويعلن الحرب ويستجلب أولاد الأفاعي من كل

يتلهم على الشقيق الحراب

ويستعين بكل نوع من الإرهاب

ولما تحق الساعة لشعب غزّة يحرق في الآتون

فهو لا حاكم ولا رجل ولا فارس ولا من يحزنون

هو ككلب صيد عند سيّد... أو جارية في قصره

تتقرن الفنون

بصير أصغر من الصغر كدجاجة مبلولة الريش

أو كخاتن في محاكم التفتيش

يرتجف وتصطك ركبته

ويضغّ زلومة الشفتين خشية أن يسمع السيّد

منه الأه

ف«إسرائيل» بكفرة الهنود مقدّسة ممنوع

المساس

وقد خرب المقاومون برأيهم ناموس الناس

لذلك كان مطلبهم استيعاب حماس

وإمسكها بالعرق المذهبي أو الأخواني لأنّ العرق

دناس

وتطوبعها كي يرضى الغرب عليهم وبيارك

فيهم الاعوجاج

ولا يضيرهم جبن ولا عرف ولا النذالة تخيفهم

كثمة فهم قالوا بأنفسهم أنهم نعاج

لكنهم يتجاهلون أنّ الأمر ليس مجرد مال

وإعلام

فالقضية تبقى ماذا تقول كتائب القسام

والمقاومة بتسمياتها المتعدّدة

جدول نماء متجدّدة

### رياضيات في الكلام

◆ من يكثرون الحديث عن الحق

والمنطق لتبرير قرارات تلحق الأذى

بأنفسهم، خلفوا بعقل بلا قلب، ومن

يكثرون النذخ بالمنطق والعقل لتبرير

مواقف تلحق الأذى بسواهم، هم بلا

قلب وبلا ضمير، ومن يكثرون لمواقف

تؤذيهم وتؤذي سواهم، لا عقل لهم ولا

قلب ولا ضمير .

◆ إذا وقع المرء في تعداد المعايير

في سلوكه الشخصي إزاء ردود فعل على

فعل واحد صدر من أشخاص مختلفين،

فهو شخص طبيعي لأننا نحاسب الفاعل

وتفاعل معه، وما له وما عليه في الذاكرة

لا مع الفعل. هنا القلب يقزّر، أما إذا صدر

الأمر نفسه عن حاكم نحو مواطنيه، أو

قاض في ميزان العدل، فذلك فساد في

النفس وسقوط للشرعية والأخلاق. وإن

فعلت الدول مع سياساتها ذلك فهو

النفاق بعينه وضياغ ميزان العدل وسقوط

القيم والمعايير والقانون .

◆ الماء والنار والتراب والهواء مكونات

الحياة والإنسان وفقاً لنظريات الإغريق.

فالماء والتراب صنعة الجسد، والنار

والهواء حرمة الطباع، وهذا مرذّه عندهم

أن هناك طبع حار أصله النار، وطبع

متقلب أصله الهواء، وأما الجسد فهو

تراب وماء، عطش وارتواء، وجيلة طين

كانت وجيلة طين تعود. أما الكارثة فتقع

عندما يصبح الجسد من نار وهواء، فيصير

الجسد شيطانياً، لأنّ إيليس من نار وهواء،

وبصير الطبع تراباً وماء، أي بصير العقل

سيلاً متبدلاً متقلّباً كهر لا مستقرّ لمائه

وكشكل يتخذ من لوان ما يحتويه من إباء

وشكله. وبصير القلب تراباً لا حراك ولا روح،

أي جماد الجماد لا حياة فيه.

### ذُكر إن تنفَع الذكرى

**في قلب الحرب التي شنت عام 2012 على غزّة، توقّعت أن يحقّق النصر على الاحتلال والعدوان، لكنني خشيت أن يجيّر النصر لحساب الهوية الأخوانية لحركة حماس، بدلاً من هويتها المقاومة. وتطلعت صوب معني أن تتقدم حركة الجهاد الإسلامي التي لم تخطئ بوصلتها الفلسطينية نحو موقعها في صراعات المنطقة، خصوصاً موقفها العقلاني من الأزمة السورية، لكنني أبديت الخشية الأكبر من أن يترتّب على نصر غزّة أو هزيمتها المفترضة في عقول «الإسرائيليين» نتيجة واحدة، تتمثل في أن تدق ساعة الأردن كوطن بديل. وأعيد اليوم نشر المقالين لقناعتني بضرورة إعادة التحذير وإعادة القراءة.**

#### غزّة والجهاد وسورية

بقي الناس يعتبرون أنّ غزّة هي حماس حتى وقعت الحرب، فظهر أن منظومة الصواريخ التي توجع تل أبيب هي التي بقيت بيد الجهاد بعدما دمر الاحتلال غالبية ما لدى حماس.

الجهاد الكفأت عن الأزمة في سورية، واكتفت بالقول إنها تدعو إلى حفظ مقدرات سورية وشعبها وجيشها عبر الحل السياسي، وأنها لن تنسى ما قدّمته سورية للمقاومة وفلسطين.

استعدت الجهاد لحرب كانت تراها آتية لتوظيف

القوى العربية لحساب «إسرائيل»، واستغلال انشغال

سورية ومحور المقاومة بما يجري فيها.

الجهاد تسأل حماس دائماً لماذا ميّز الغرب والعرب

بينكم وبين اشفائكم الأخوان المسلمين في سورية.

فالمال والسلاح لهم حلال وعليكم حرام؟ والذين

يحبون اخوان سورية يكرهون الدولة السورية ويحبون

«إسرائيل»، والذي يؤيدون قتلكم على يد «إسرائيل»

يعتبرون القتال ضد اخوانكم السوريين جريمة حرب

ويدعون إلى تسليحهم على رغم دعوة الدولة السورية

إلى الحوار معهم ووقف القتال؟

حماس لا تجيب، وترى أنّ مصر ستغيّر معادلة غزّة.

الجهاد تغتال وتنتصر، وغزّة معها وحماس أيضاً، لكن

مصر تتكلم كما كان يتكلم مبارك؟

غزّة جديدة ستولد من رحم الحرب.

#### غزّة والأردن وحماس؟

ليس صدفه انفجار الأردن داخلياً بعد قطع إمداد

الوقود المصري ورفع الأسعار، وما قالت «واشنطن

بوست» إنه دعم إخوان مصر لإخوان الأردن لتفجير

انتفاضة توصلهم إلى السلطة. ولا صدفه التصعيد

العدواني على غزّة لاستغلال ما يجري في سورية وخروج

حماس وأخذ النصب «الإسرائيلي» وهو الاستفراد بغزّة.

غزّة ومصر تحت سلطة المرشد العام للاخوان،

ومشروع السيطرة على الأردن وسورية تحت قيادته

وأمامه خياران:

- أولوية فلسطين وما يستدعيه من توظيف لقدرات

مصر لنصرة غزّة وما يربّته من تصاعيد في التوتر مع كل

من «إسرائيل» والخليج وأميركا والغرب وتركيا حلفاء

الحرب على سورية.

- أولوية السلطة الاخوانية في الأردن وسورية على

مستقبل غزّة والتدخّر بالظروف القاسية لمصر وعمر الثورة

الطري لمواقف رفع عتب مثل مواقف مبارك، سحب

سفير، وبيان قوي واجتماعات جامعة ومجلس أمن.

الغارق أن «إسرائيل» تعرف الاخوان أكثر مما يعرفونها.

«إسرائيل» تقول غزّة ثمرة ناضجة ووقت قطافها قد

حان، والأردن ووطن بديل بقيادة الاخوان سيستكت

حماس، وخروجها من سورية إلى الخليج دليل طاعتها

الاخوانية.

حماس أمام امتحان خيارها المقاوم أو انتمائها

الاخواني

من يترك مقعد المقاوم

ويستحلّ دماء الشهداء كي يساوم

تخلع عنه البيعة برمشة عين

وبصير دم المقاومين في عنق بعضهم كأنه

ذبن

يتعاضدون ويتناصرون وقد أقسموا لبعضهم

أغلظ الإيمان

أنّ الدم هذه المرة لن ينسرق ولن يهان

وأنّ غزّة ستنتصر بالمقاومة وتفقّ الحصار

أو ستشتعل كلّ المنطقة بالنار

وقد بان في الميزن الاحتلال

فقد ولى زمن استبدال الجولان بالجولاني وجبهة

النصرة

أو بيع بغداد بالبعديدي بدواعش السترة

ونسى تهجير مسيحي من الموصل وهمد

كنيسة

فحجارة المزابل ولو تباعدت تبقى نجسة

وخبيسة

الحرب هي الحرب والأصل كلّه فلسطين

والأمة ولو طال نفوضها فهي لن تهون ولن

تهين

سيبقى الدم دمًا ولن يصير ماء ويعطى عطاء

الذلّ للمحتلين

ولن يصير الكلام سهلاً بالتنازل عن الكرامة

والوجود

ولو صرخ بملء الصوت بنو سعود

كيف تجرّأ المغامرون

وععلوا ما فعله اللبنانيون

سيأتي الردّ على تل أبيب

فالأفغى واحدة من طنجة إلى الخليج والهلال

الخصيب

تُحرب الأفغى من رأسها ورأسها «إسرائيل»

متى سقط رأس الأفغى لا بدّ أن تذيّل أطرافها

وتملئ

فأضرب أيّها المقاوم مهما اشتدت النار

بأشعتها

معجزة أنتم في عزيمة الأمة وصنع استقلالها

مستقبلنا الاتي كنتم وتكونون ولأمة أمالها

عُلمتم الأعداء قانون الحرب الجديد وفنون

قتالها

كنتم العزم الشديد واليد الحديد

وكنتم النار التي تحرق اليباس

وتشفي غليل الناس

أنتم ذرة التاج كلّ صباح

أنتم صلبة لا تهدأ من سلاح

أنتم نارنا الموقدة

وأبولينا الموصدة

أنتم غدنا الاتي بلا غيم بلا ليس

أنتم ضوء النهار وأنشعة الشمس

أنتم ماء المطر الذي لا يرشق بالجمارة

لا تتجددوا ولا تغلق بيته بالحصارة

أنتم غليلنا في لحظة الارتواء

تتبرون ليلنا بتقديل زيته دماء

أنتم دليلا والبوصلة في غزّة مشفى الشفاء

أنتم الشجاعة والشجاعة

ومن البطولة بقية البقية

أنتم صنّاع الغد المتأخر بضعة فرون عن الظهور

لأنّ الحكام قد ضاقت بهم الصدور

فأقدحوا ولا تتردّوا لأنتم علامة الحضور

صباحكم الخير

يا أهل الخير

### قالت له

قالت له: لا تنسى أنّ سحر البحر الذي يجمعنا ليس أكثر من مصدر إلهام للشعراء، ففيه الموج

والبحار والسكون والصبح والأؤلؤ والمحار. أن تحميني من موجة عاتية أو ترميني في اللبلة الآتية،

وأن لا أجد السباحة، والعتم والليل والصيدين، ونجوم السماء، فهل هو مصدر الشعور بالوحدة

والخوف كما هو مصدر الشعور بالأمل والأحاسيس الرقيقة والاستناد إلى كتف الحبيب، ورداد

الموج يلفح وجهيها؟ فقال لها: البحر نسخة عن كل وجه من وجوه الحياة. ففيه الروح وفيه الجسد،

البحر موج يعمر الرمل فسوة وحناناً، والرمل يعترض ملح الموج ويكتنزه في أعماقه علامة ولاة،

واختلاط الرمل والملح في ظلال موجة يحملها المدّ إلى اليابسة يؤدّد دورة الحياة وي